

التَّهْضَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْحَدِيثَةُ "ومع ذات صباح.. مقارنة تفكيكية"

*The Arabic Modern Renaissance « With One Morning.. » A Deconstructive Approach*

المؤلف الأول\* د. عزّاني العارم

كلية الآداب واللغات جامعة محمد لمين دباغين سطيف - 2 الجزائر

[azanilarem@gmail.com](mailto:azanilarem@gmail.com)

| ملخص Abstract                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              | معلومات المقال                                                                      |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------|
| سنستغل في هذه الأوراق على مقارنة النهضة العربية الحديثة من منظور تفكيكي، فقد بتنا نقرأها كوحدة غير قابلة للتحديد، ومؤكّدت ذلك هو مجموع الحقائق التاريخية المتعلقة بالنهضة حيث تفتح المدارس لتغلق، وتكوّن طبقة المتعلمين لتنفى، وتؤسس الصحف لتصادر، تستقطب رجالات العلم والإصلاح ليهمشوا. وفي ظل سعي استراتيجية التفكيك إلى نزع الترسبات المخصوصة بالنهضة كبنية متشكلة فإنها تكشف لنا عن ممارسات لعبة الإيجاد والعدمية، الهدم والبناء، الإقرار والخرق، وأهم الأهم أننا على مستوى نتائج النهضة الحديثة لا نتعثر إلا بحقائق: لا تطوير، لا تقدم، لا إنتاجية تخص الأمة العربية إبان مرحلة العصر الحديث.                         | تاريخ الاستلام : 2020/ 12/ 04 .<br>تاريخ القبول : 2021 / 05 / 18 .                  |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الكلمات المفتاحية<br>التفكيكية، النهضة، اللغة، التعليم، الإبدال.                    |
| In these papers we approach the Arabic modern renaissance From a deconstructive perspective. So, it's seen as indecedable unit. The fact that schools open to be locked, the educated class is exiled, the newspapers are established to be seized and scientists and reformers are neglected. The deconstruction removes Deposits of renaissance as a formed structure; it reveals to us the finding and Nihilism, Demolition and construction, Acknowledgment and breaching. Consequently, we found that: there is neither progress, nor development, nor productivity, which concern the Arab nation in the modern age. | Key words ( 05)<br>Language, Renaissance, Deconstruction, supplimentarity, Teaching |

<sup>1</sup>المؤلف المرسل : العارم العزّاني

## مقدّمة:

احتضنت أرض الكنانة بؤرة الإشعاع النهضوي\* إبان العصر الحديث، ويتأكد الشغف بهذه النهضة بعد التماس المعرفي بين قطبي شرق - غرب الذي تحدت شرارته الأولى بعد الاحتكاك بالذخائر المعرفية التي مثلتها حملة نابليون على مصر، فشهد العربي بهذا الحدث بداية ميلاد الوعي العربي، فراح يكشف حقيقة الصورة التي هو عليها مما استدعى وقفة تأمل مع وضعه أفضت إلى إدراك الفوارق الجوهرية بين الأنا والآخر، بين تخلف الوطن العربي جراء سياسة العثمّة وبين تطور الغرب وبلوغه مراتب التطور، وأهم الأهم في وقفة العربي التأمليّة في حاله ومآله أن أفضت إلى إنباع الوعي العربي بالمنطق العربي، والأساس في هذا هو ضرورة بذل الجهود العربيّة الخالصة لأجل اللحاق بركب التطور والتقدم مثلما هي صورته عند الآخر، ولتحقيق ذلك لابد من الاعتماد على ما أطلق عليه بالنهضة\*\*.

وفي سبيل تحقيق النهضة وفرت الجهود العربيّة العديد من العوامل\*\*\* منها إصلاحات محمد علي، والإرساليات التبشيرية، والمستشرقون، وجهود الخديوي اسماعيل كآخر جهد نهضوي في العصر الحديث، وأهم ما في الحكاية أن اتخذ كل عامل ما أطلقنا عليه سمية الآليات النهضوية الحديثة، ومن أبرزها البعثات العلميّة، فتح المدارس، ترجمة الكتب الغربيّة، تأسيس الصحف.. إلخ.

ومن هنا تتأسس انطلاقة هذه الأوراق المتمحورة حول إشكال رئيسي ألا وهو:

-هل استثمرت الجهود العربيّة وعلى مدار العصر الحديث جميع الآليات النهضوية؟

-هل تحققت النهضة العربيّة المنشودة في العصر الحديث وبشكل ملموس على أرضية الواقع وعلى كل الأصعدة؟

-ما هي مظهرات التطور والتطوير المادي والمعنوي الناجمين عن هذه النهضة؟

ويندرج تحت هذا الإشكال تساؤلات فرعية نصوغها كالآتي:

-ما هي أبرز عوامل النهضة؟

-ما هي أهم آلياتها النهضوية؟

-هل أسست النهضة لحياة عربيّة جديدة؟

لقد كان من المنتظر أن تأتي النهضة العربية بثمارها غير أن الحقائق ومؤشرات العصر الحديث تقول بلا تحيينية هذه النهضة على أرضية الواقع، فأين هي الدولة الصناعية؟ وأين هو حلم الدولة الزراعية؟ وأين هو حلم الدولة العسكرية الباسطة النفوذ على الأراضي العربية؟ مازلنا نقرأ احتكام الوطن العربي إلى خصيصة الاستهلاكية بامتياز حيث التعويل في كل شيء على إنتاجية الآخر، وعليه، وانطلاقاً من هذا الوضع العربي لفهمه أيضاً بات لزاماً علينا إعادة النظر في النهضة العربية الحديثة من زاوية تفكيكية حيث الوقوف عليها بحمولاتها الحاضرة ودلالاتها الغائبة.

من أهداف هذه الأوراق هو نزع مجموع الترسبات عن النهضة العربية الحديثة طالما أنها بنية متشكلة، ولن يتم ذلك إلا وفق منهج التفكيكية، وذلك في محاولة منا إدراك حقيقة النهضة العربية في صورتها الأصل حيث النهضة واللانهضة، كما نضيف من الأهداف الوعي بذلك الجوهر الخفي الذي يتأكد معنا على أنه متجذر في الوعي الجماعي للأمة بحيث يشهد امتداده في ماضيها واستمراره في العصر الحديث وفق أطراف الإقرار والخرق، الهدم والبناء، الإيجاد والعدم.. إلخ، فهي بعض من مجموع المعاني المرجأة التي لن تتأكد إلا بواسطة بنية الإبدال.

### وفي البدء كان،

ومع " ذات صباح <sup>1</sup> "، ارتسمت علائم النهضة Renaissance في الوطن العربي، تحديداً في العصر الحديث الذي كانت بدايته مع القرن التاسع عشر الميلادي، و سر ذلك الارتسام لعلائم النهضة على جسد هذه الأمة الشاحب، أنه وفي أواخر القرن الثامن عشر تشعر الأمة العربية بخطر ابتعادها عن حركة الحضارة الحديثة ومنجزاتها. وقد ولد هذا الشعور بالخطر رغبة في دخول العصر الحديث دون فقدان للذات أمام تتريك أو عثمانة في ظل الحكم العثماني الذي كان يتعامل باللغة التركية ويهمل اللغة العربية، وأيضاً في مواجهة غزو أوربي لم تتوقف موجاته حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945م. الوجه العثماني مضاد للحدث لكنه يحمل راية الخلافة الإسلامية.. والوجه الغربي حامل للحدث لكنه يحمل راية الاستعمار والعداء <sup>2</sup>، فكان لا بد من النهضة في الوطن العربي، وعليه،

-هل استثمرت كل الجهود العربية وعلى مدار العصر الحديث Modern age جميع الآليات النهضوية؟

-هل تحققت النهضة العربية المنشودة في العصر الحديث وبشكل ملموس على أرضية الواقع وعلى كل الأصعدة؟

-ما هي مظهرات التطور والتطوير المادي والمعنوي الناجمين عن هذه النهضة؟

لقد بتنا نقرأ من الحقائق التاريخية عن هذه النهضة أنها تفتح المدارس لتغلّقها، وتكون الطبقة المتعلّمة لتنفيها، وتؤسّس الصحف لتصادرها، تستقطب رجالات العلم والإصلاح لتهمشهم، كما في زاوية من الطرح تؤسّس للغة الفصحى لتستبدلها بالعامية..، والحال هذه تحولت النهضة العربية الحديثة إلى صورة طيفية الأساس فيها هو التفعيل لعملين فطورا بوضع وطورا آخر بوضع مغاير، وبعيدا عن تأصيلات الثنائيات Binaire، فهي بهذا الطرح وحدة غير قابلة للتحديد indecedable unit - أو كما يسميها جاك دريدا\* Jacques Derrida - ومن أهم خصائصها أنها قابلة للتفكيك. تكشف لنا عملية نزع الترسبات عن النهضة كبنية متشكّلة بأنها بنية كانت تمارس لعبة الإيجاد والعدم، الهدم والبناء، الإقرار والخرق، الأمن واللامن..، وهذا لن يعزز عندنا سوى استنتاجات حول هذه النهضة العربية الحديثة التي أضحينا لا نتعثر معها إلا ب: لا تطوير، لا تقدم، لا إنتاجية، لا تكنولوجيا، لا اختراع عربي خالص..، وما زال في الجعبة المزيد الذي سيتضح معنا من خلال هذه الأوراق التي أهديناها من السمية:

## النّهضة العربيّة الحديثة "ومع ذات صباح.."

### مقاربة تفكيكيّة

#### ما بعد البدء،

في صورة من صور فضولنا اللطيف، تطالعنا خيبة النهضة قبل بدئها بالسواعد العربية، وكأنه الوضع المرسوم مسبقا لما سيكون لقابل أيام هذه الأمة، حيث البناء والهدم يعتوران النهضة فيبقى الطرح مؤكدا على أن النهضة منذ فجر تشكلها في رحم الوطن العربي هي وحدة غير قابلة للتحديد، والدليل التاريخي على ما سقناه نتبيّنه مع حكايات نابليون حين وفادته على مصر منقذا ومخلصا من آثار سياسة العثمينة العميقة.

### 1- حملة نابليون وحكاية النهضة في أم الدنيا:

قدم نابليون بوناپرت مصر وقد حمل معه الحضارة الغربية في بعض من جزئياتها ممثلة في شيء من العدة والعتاد بغرض البناء في مصر، وكان من إسهاماته في هذا المجال، إصدار نابليون "جريدة عربية اسمها (التنبيه) كانوا يطبعون فيها الحوادث اليومية والأوامر الرسمية فكانت أول جريدة عربية ظهرت في العالم العربي، وقد صدرت سنة 1799م، وتولى إنشاءها أديب عصره اسماعيل بن سعد الخشّاب<sup>3</sup>. ما يزال في جعبة بوناپرت المزيد، إذ أسس المجمع العلمي، جلب العلماء من مختلف التخصصات، ومنهم من كان يقيم تجارب علمية يراها المصريون، المكتبة التي جلبها نابليون معه، وكان أبناء الأزهر يقصدونها

ويطالعون فيها، وكانت وظائفها تؤدي على الطريقة الافرنجية... تأسيس المسرح حيث جلب بونابرت معه فرقا مسرحية كانت تؤدي عروضاً يحضرها المصريون دون فهم لما يجري.

انهالت تعاليق الدارسين العرب على هذه النهضة المبدئية الجزئية في مصر على يدي نابليون، فكان الإقرار بفضائل الآليات النهضوية البونابرتية مستوحى من قراءة عمر الدسوقي في كتابه نشأة النثر الحديث، حيث يقول: "كان لحملة نابليون على مصر.. أثر عميق.. أيقظتهم من سباتهم الطويل، واطلعوا إبان مقام الفرنسيين بمصر على ألوان من الحياة وضروب من المخترعات وأدوات حضارية ونظم ثقافية لا عهد لهم بها، وأدركوا أن ثمة أمماً أخرى تعيش وراء البحر قد حاولت جهدها تسخير قوى الطبيعة للإنسان، وانتهجت في الحياة نهجا جديدا يدعمه العلم والصناعة"<sup>4</sup>.

ولكن، "ومع ذات صباح .."، يحمل الجنود الفرنسيون على السكان الأصليين ويؤذونهم، مما جعل المصريين يستعينون بالعثمانيين لينقذوهم من الفرنسيين الذين آذوا المصريين في عقر دارهم، فتحالف السكان مع قوات العثمانيين التي أرسلت إليهم من الأستانة وكان يقودهم في تلك الحملة محمد علي، فتحاموا في طرد نابليون من مصر، ومن المفارقات التي تبعت هذا الحدث أن بونابرت لم يتحرج من جمع مجموع حاجياته التي حملها معه، كالمطبعة، المكتبة، العلماء.. وغيرها، في حقائبه المحمومة بالبناء والهدم قبل أن يستقل طريق العودة إلى عاصمة الجن والملائكة، كما نضيف خبراً آخر عن جريدة التنبيه، فقد "بطل صدورها بخروجهم من مصر سنة 1801م"<sup>5</sup>.

إن المسعى البونابرتي بهذا الصنيع قد أسس ل: لا بناء في ربوع مصر وهذا ما تؤكد بعض الدراسات حيث كاشفتنا ببعض الحقائق عن حملة نابليون، فما تقدم به من منجزات إنما هي قد تمت بنية الاستعمار<sup>6</sup>، والقصد من هذا الاستعمار هو تأمين الطريق التجاري نحو الهند ضد الانجليز، هذا الاستعمار الذي هو جزء من تاريخ فرنسا في علاقتها مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط "إنها الخصوصية المتغطرة أو تلك الفظاظاة الصادمة لما يمكن أن نسميه الحرب الكولونيالية ( الاستعمارية ) الحديثة"<sup>7</sup>.

إن تفكيكية Deconstruction النهضة من وجهة الجهود البونابرتية، تفتح لنا منافذ استكشاف ناتج البنية الاستبدالية supplimentarity، حيث نفرض عن: لا تطور، لا حضارة، لا إشعاع علمي، لا رقي اجتماعي، لا تحضر مدني، ليغدو جزءاً من تاريخ الأمة العربية صورة طيفية اعتورها البناء والهدم مع إشراقات العهد النهضوي ولبمسات نابليونية محضة في أم الدنيا / الوطن / الأمة، إنها الحكاية بدون شهرزاد، وهي تقول: "سنبداً في التعلم كيف يسكننا الحزن على شيء لم نمتلكه أبداً"<sup>8</sup>

## 2-النّهضة الحديثة بالسّواعد العربيّة:

إن جئنا إلى أخبار النهضة الحديثة التي تمت بالسواعد العربية وقد امتدت من مرحلة محمد علي إلى غاية ما بعديات نهاية حكم اسماعيل، فإننا سنتبين عبرها مسارات لجهود أرادت إحلال النهضة العربية بعد الخيبة النابليونية وقد مست عديد مستويات، وبيان تفصيلها كالآتي:

### أ-النّهضة الحديثة والتعليم:

إن تَحَقُّق النهضة الحديثة مرهون بالتعليم، وفي سبيل ذلك أنشئت "مطبعة بولاق التي عرفت فيما بعد باسم المطبعة الأميرية والتي كان لها أثر كبير في إحياء تراثنا القديم، وفي تزويد النهضة بالكتب الجديدة"<sup>9</sup>، كما تم تأسيس عدد معتبر من المدارس بعضها خصص لـ "مهمة تخريج الضباط اللازمين لمختلف أسلحة الجيش، وأحضر لها من مختلف بلاد أوروبا أساتذة وأطباء وصيادلة ومعلمين..<sup>10</sup> أرفق هذا بمنجز حضاري آخر، إنه وفي عام 1826 تم إنشاء "مدرسة الطب بأبي زعل و.. مدرسة الطب البيطري، ومدرسة الصيادلة، ومدرسة المشاة بالخانكة، ومدرسة الفرسان بالجيزة، ومدرسة المدفعية بطرة، ومدرسة الموسيقى بالخانكة، ومدرسة قصر العيني الابتدائية، ومدرسة الزراعة بنبروه، ومدرسة الألسن التي عهد بالإشراف عليها إلى رفاة الطهطاوي عام 1836"<sup>11</sup>.

وللمزيد من الآليات النهضوية التي ينشر بها التعليم تم إرسال البعثات الطلابية إلى الخارج للدراسة "وقد بلغ عدد البعثات التي أوفدها محمد علي إحدى عشر بعثة آخرها سنة 1848 وبلغ مجموع من أرسله 309 طلاب كانوا أداة الإصلاح في مصر"<sup>12</sup>.

إنه لتاريخ حافل بعوامل اللاهزم؛ لأن الأمة تريد النهضة على مستوى العلم حتى تحقق تطورها العسكري والاقتصادي، تريد أن تكون أمة قوية وسط مجموع القوى المشكلة للعالم آنذاك، تفرض هيمنتها وسطوتها بنفوذها على الآخر، ولكن، "ومع ذات صباح..<sup>13</sup> تستيقظ هذه الأمة على أنباء غلق المدارس التي فتحت<sup>13</sup>، كما يضاف إلى ما سبق قرار جديد آخر فحواه وقف البعثات الطلابية التي كانت تتوجه إلى قبلة العلم أوربا، وتمظهرت بداية تفعيل هذا القرار بتناقص أعداد المبعوثين بحيث "فتر بعد محمد علي إرسال البعثات وتناقص عدد المرسلين فكانوا في عهد عباس الأول 19 موفدا وفي عهد سعيد 14 موفدا"<sup>14</sup>.

إنه الهدم القادم بلمسات عباس وسعيد تحتضنه أمثلة لا إبداع، لا عدمية، في عصر النهضة المنطلقة من تأسيس أرضية للعلم، أفنومها الدعوة والإدعاء والبداية من مصر، حيث وقفنا مع الأرقام المتناقصة للطلبة الموفدين إلى الخارج لطلب العلم حيث نزل العدد من 309 طالبا في عهد محمد علي إلى 19 طالبا، وأخيرا 14 موفدا، في عهدي عباس ثم سعيد، حتى لا

يسعنا من خلالها إلا أن نسجل على أنها خيارات جهود تكون في النهاية لا نهضوية، موقوفة على لا تطور، لا علم، لا إنتاجية، لا نشاط معرفي دائم، لا رقي، لا قوة عسكرية، لا قوة اقتصادية، لا دولة قوية، لا حلم بفكرة التطوير، وبهذا استكملت النهضة العربية الحديثة طيف الإيجاد والعدمية مضافة إلى البناء والهدم ليتأكد معنا ائتمار النهضة الحديثة بهذا كله تحت عباءة الوحدة غير القابلة للتحديد هذه النهضة التي أقيمت بالسواحد العربية .

" وذات صباح.. جميل، يأتي الخديوي اسماعيل وعلى يديه تفتح المدارس التي أغلقت، كما عادت البعثات الطلابية "سيرتها الأولى وارتقى عددها حتى بلغ 172 موفدا أرسلوا إلى مختلف ديار الغرب لينهضوا بالعلوم والآداب من جديد"<sup>15</sup> .

## ب- النهضة الحديثة واللغة العربيّة:

استدركت سياسة الدولة الرامية إلى النهضة قضية اللغة العربية، فكان منها أن تأكد لديها وعند الجميع أنه لابد من إعادة الاعتبار للغة العربية وبناء النهضة بها، فليس بغير العربية قيوميّة النهضة، فكان من الآليات النهضوية المبذولة على صعيد نشر اللغة العربية إنشاء "المجلس الأعلى للمعارف وجعل رئيسه مصطفى مختار بك، فكان أول وزير للمعارف ظفرت به مصر منذ بدء النهضة، وما لبث هذا المجلس أن جعل العربية هي لغة التعليم في المدارس التي أكثر منها، وجعل عنصرها الأكبر من المصريين وهكذا بدأت العربية تحيا"<sup>16</sup>، بعد التأسيس لهذه الفصحى في موطنها الجديد بعد الفتوحات الإسلامية.

وإلى جانب هذا يتم الحديث عن تأسيس المدارس المتخصصة لتعليم علوم العربية على أصولها فضلا عن النهوض بها، ومنها نذكر "مدرسة دار العلوم التي أشار بها علي باشا مبارك وافتتحها في سنة 1871، وقد قامت دار العلوم ولا تزال تقوم بنصيبها الوفير في نهضة التعليم واللغة وفي دراسة الآداب والنصوص وقواعد اللغة"<sup>17</sup>. كما شرفت النهضة باللغة العربية من خلال الترجمة التي كانت سبيلا من سبل السعي للرقى بهذه اللغة الفصحى من خلال الترجمة التي أعادت إحياء اللغة العربية القديمة وإعادة استثمارها في بناء العلوم الحديثة كالتطب وغيرها، ولخدمة هذه الغاية، اقتضت النهضة الحديثة التي تمثلها سلطة الدولة إقامة عدد من المترجمين بين الطلبة وأساتذتهم كان معظمهم من المغاربة والسوريين والأرمن من أمثال الأب رفائيل زاخور ويوسف فرعون ومحمد عمر التونسي الذي وضع معجما طبيا بالفرنسية والعربية، ولقد كان عملهم هذا أول خطوة في تجديد شباب اللغة وتزويدها بالمصطلحات الفنية، واضطروا إلى مراجعة معجمات اللغة والكتب القديمة الفنية كمفردات ابن البيطار، وقانون ابن سينا في الطب"<sup>18</sup>، ولتشجيع الترجمة أكثر خدمة للغة العربية تم إنشاء مدرسة الألسن التي أسسها محمد علي وذلك سنة 1836م، وقد أسندت رئاستها لرفاعة الطهطاوي، حتى أن نهضة الترجمة إلى العربية في مصر منسوبة إلى مدرسة الألسن والجهود التي كان يبذلها الطهطاوي"<sup>19</sup>، فقد "كان يدرس في هذه المدرسة آداب العربية واللغات الأجنبية وعلوم التاريخ والجغرافية

والشريعة الإسلامية والشرائع الأجنبية، فكانت أشبه شيء بكلية الآداب والحقوق مجتمعيتين، وكان نهج المدرسة في الترجمة عمليا ومفيدا فلم يكن دروسا تكتب في دفاتر وتهمل<sup>20</sup>.

إن الذي يستوقفنا بحق إنما هو التأسيس الذي صنّعه مسيرة رجالات تفكيراً / تخطيطاً / رأياً / اقتراحاً / حزماً / غائية، لقد كان القرار والإقرار والنتيجة هي التأسيس لمدرسة دار العلوم، والمجلس الأعلى، ومدرسة الألسن، إنها التقديمات لما ينفع الأمة / الوطن، إنها السبيل للنهضة الحديثة، النهضة باللغة العربية، إنها سبيل الانفتاح على ما سيكوّن الوطنية / المواطنة / الهوية تتيّتا وإثباتاً وسط مجموع القوى الاستعمارية المتكالبّة على أجساد الأوطان العربية، والدليل على ذلك النفع شهادة الركابي التي سنكررها هنا ثانية حين قال: "وكان لها أكبر الفضل في نهضة اللغة والآداب، وقد قامت دار العلوم ولا تزال تقوم بنصيبها الوفير في نهضة التعليم واللغة وفي دراسة الآداب والنصوص وقواعد اللغة"<sup>21</sup>.

لكن، "ومع ذات صباح.." لا أحلام له، تقرر غلق مدرسة الألسن، وبذلك توقفت معها حركة الترجمة كما توقفت معها أحلام النهوض باللغة العربية ليكون الإقرار والخرق صورة طيفية ميزت النهضة العربية الحديثة غير أنها صنّعة قد تمت بسواعد عربية.

"ومع ذات صباح.." ثان، غير أنه صباح سكنته أطياف الكآبة تستيقظ مصر وهي تتوالى على مسامعها ومسامع هذه الأمة المتهالكة في جسدها المزيد من الأنباء الأخرى، حيث انتشر مسعى يحتفي بالعامية تحديداً في إنتاجية المتخيل السردية، والخطاب الشعري، وقد غذته أسيقة شوهاء تستحق كشف اللثام عنها، إنها مجموع أصوات من داخل الوطن وأخرى من خارجه. أما الأولى، فتخص نعيم نجيب محفوظ / محمود تيمور / محمد حسين هيكل...، ودعوتهم إلى العامية، حتى كانت رواية زينب كعينة تتمثل بها طرحنا، فقد كان هذا المتخيل السردية مزيجاً من ذلك النعيم والفصحى. أما الاتجاه الثاني، وهو خارج الوطن فتمثله أصوات ما وراء البحار، ونقصد بهذا أصوات ميخائيل نعيمة الذي قام منتفضاً من نقيق الضفادع، وحسب رأيه قد آن الألوان للرقى بالمسامع صوب لغة لا تحتفي بقواعد الفصحى، وأوراق الغريال ما زالت تحتضن بالصوت الأصل<sup>22</sup> وإلى جانب ميخائيل نعيمة نسمع نعيم جبران خليل جبران من خلال أقنومه "لكم لغتكم ولي لغتي" وهو مقال أسقط عن الفصحى قواعدها<sup>23</sup>.

لقد أفضت أصوات ما وراء البحار إلى نتاجات إبداعية شعرية، وسردية، وأخرى نقدية تشغل على العامية بديلاً عن الفصحى ليتحول الوضع في مصر إلى الإقرار فوق الإقرار، والإلغاء فوق الإلغاء، مع الإشارة إلى أن هذا الوضع قد أصلته أسيقة مختلفة باختلاف أوطان الأمة العربية وعلى رأسها في مصر تحديداً النزعة الفرعونية، وبهذا تحيك أم الدنيا يوماً جديداً لباقي أيامها إنه يوم التخلي المضاف إلى أيام مصر، كيوم الزينة، ويوم النصر.. إلخ.

إن هذه النزعة الفرعونية / يوم التخلي قد أبانت "على تطرف أتباع هذه المدرسة في تعصبهم لأدبهم القطري ومجدهم الفرعوني القديم وبخاصة حين اكتشفت آثار الفراعنة الخالدة، وانكشفت للمصريين المتقنين صفحات زاهرة من تاريخ مصر القديم"<sup>24</sup> ، وأهم الأهم الذي نتحدث عنه هنا في هذا المقام وقد أفضت إليه هذه النزعة الفرعونية، أنه لم يكن هناك مع فكرة النهضة باللغة العربيّة سوى لا بناء، لا إيجاد، لا قرار، لا خرق، لا خرق الخرق، لأن هذه النزعة الفرعونية لم تقض في ناتجها إلا إلى دعوى الفرقة والانقسام بين العربي، والفرعوني، والقبطي، وكأن الأمة ما زال ينقصها قسمتها من الانشقاقات الداخلية باسم الطائفية الهدامة، فكيف تعول النهضة في مصر على تاريخها الفرعوني فقط مستقلا سيدا في الساحة؟ وأين تضع العرب والعروبة والإسلام والمسيحية والأقباط؟ كيف تتحقق النهضة وسط نتيجة مفادها لاهوية، لا استقرار، لا اتحاد، لا تسامح، لا تعايش للمختلفات العقدية والفكرية ليتم الوصول بهذا الحال إلى تأخير فكرة النهضة باللغة العربيّة الفصحى .

لقد انتعشت هذه النزعة الفرعونية في متاهة الحب الممنوع لأيام معدودات بمصر فأفضت إلى واوات لانهاية يطول الحديث عنها، فما هو ذا معنا محمود تيمور و جهوده المتمحورة حول التأسيس للكتابة بالعامية، محمد حسين هيكل ومدونته ثورة الأدب، وكذا ميخائيل نعيمة مع الغربال ورواية الآباء والبنون مع التنويه على أنها مسرحية سماها نعيمة رواية، وأخيرا جبران خليل و مقاله "لكم لغتكم ولي لغتي" .. إلخ .

عود على بدء ، لنؤكد على المزيد من الصور الطيفية حيث الإقرار والإلغاء، الإنتاج والجمود، الإقرار والخرق مع النهضة باللغة العربيّة الفصحى وبسواعد عربية، فهل آن الأوان كي نصل إلى مرحلة "تقدير مدى النكبات التي يمكن أن يتجرعها البشر جراء البحث عن لغة الأم الأصلية"<sup>25</sup>.

"ومع ذات صباح.. جميل، يفوح عبقّ بعد عطشٍ من هذه الأمة المتهالكة، وحيث الإيمان المفروض بعد عذابات الحب الممنوع صوت الجميع يتلو - تحديدا في مصر: إني "أنا أحادي اللغة monobilingue ، وأحاديّتي هذه كانت وستبقى بيتي، هكذا أحسبها وهكذا أسكنها وتسكنني، وهكذا ستبقى، إن الأحادية التي أتنفسها هنا هي بمثابة العنصر الحاسم في حياتي، عنصر لا هو بالطبيعي، ولا هو يمثل يمثل شفافية الأثير، بل إنه وسط بين هذا وذاك"<sup>26</sup>، وبعد نشيد التوبة يترقى نجيب محفوظ من النعيب إلى أعذب صوت مع المتخيل السردى، حتى أنه يتوج فيه لاحقا بجائزة نوبل للآداب. وأما محمد حسين هيكل فخط سوادا يحكي فيه عن محبوب الأمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كنوع من التطهير بعيدا عن شبهة الكتارسيس الأرسطية، إنها ترجمة عن نبي العرب والعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. في الوقت الذي يستدرك فيه العقاد نفسه في حياض أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وباقي الخلفاء الراشدين ضمن سلسلة العبقريات. هي تغريدات "ومع ذات صباح.. جميل وذلك حسب ما نراه؛ لأن العقاد، وهيكل، ونجيب محفوظ، قد استدركوا الوضع والطرح فتجاوزوا بوعيهم ونضجهم من الفرعونية إلى الوطنية، ومن القومية الفرعونية إلى القومية العربية، من العدوانية إلى المسالمة، من يوم التخلي إلى يوم

النصرة الحديث تحت راية الوطن واحد / الوطن يسع الجميع / الوطن للجميع / وفي هذا عقد قران فريد من نوعه في تاريخ البشرية وذلك بين العروبة، الإسلام، الفرعونية، وأخيرا المسيحية بعد طلاق دام نتائج عدائية ضد الإسلامي والعربي. هكذا هو "ومع ذات صباح.. جميل، إلا أنه لا يستطع أن يمحو تاريخا ألحق بالنهضة تحديدا على مستوى قضية اللغة العربية حتى أفضت إلى وحدة غير قابلة للتحديد حيث الإقرار والخرق.

### ج-النّهضة الحديثة والأمن:

ساهم رفاة الطهطاوي في التأسيس للنهضة العربية الحديثة فحاول التعريف بالحضارة الأوروبية ممثلة في النموذج الفرنسي للاقتداء به في الكثير من المجالات كالعدالة، والسياسة، والقانون، والصحة، حتى موائد الطعام وطريقة ترتيبها، فكتب مؤلفه الشهير تخلص الإبريز في تلخيص باريز<sup>27</sup>، وكله وطنية، وحماسة، وقوة، للدفع بالنهضة قدما وبسواعد طهطاوية محضة. "ومع ذات صباح.. غير أنه صباح "النكسة التي أصيبت بها النهضة إبان حكم عباس وسعيد، إذ كان عباس من المعوقين فعلا للتقدم..، نفي رفاة الطهطاوي إلى السودان بحجة فتح مدرسة ابتدائية في الخرطوم، ولم يكن الحال في عهد سعيد أحسن منه في عهد عباس،.. و.. لم يقم بعمل إيجابي لرفع الضرر"<sup>28</sup> عن السيد رافع رفاة الطهطاوي .

لقد ثبتت صنيعة نفي رافع رفاة الطهطاوي، وهو مؤسس دار الألسن إلى السودان، ولقد تم نفيه بعد أن جرد من ممتلكاته، كما ألحق معه في النفي عددا لا بأس به من طلبته المشتغلين معه في الترجمة، وعلى الرغم من توسلات الطهطاوي لعباس وسعيد ليرحما فيه ضعفه إلا أنهما قد أصما آذانهما عن نداءات متهالك أوتي من خلفه، ولم يراعى فيه وله عهدا، إنه اللأمن، اللااستقرار، اللاسكينة، اللاطمأنينة، اللأمان .

إن وطنا / أمة تحلم بالنهضة لا بد فيه من مراعاة الأمن والأمان لأفراده بين ربوعه، ولكن وطنا تحولت فيه النهضة وحدة غير قابلة للتحديد فهي لن تقضي إلا إلى أطياف الأمن واللااستقرار، العطاء والحرمان، ومع نهضة وبهذه المواصفات لا ناتج سوى كثرة الصور الطيفية في الأمة / الوطن وهي في عهدة النهضة بالسواعد العربية، فما طمحت إليه مصر من نهضة تحول إلى مجرد حلم شهد الإجهاض قبل التشكل، وذلك حين أفضى النفي إلى موت أغلبية الطلبة الذين كوّنهم الطهطاوي ليكونوا عماد الترجمة، كما تأثر الطهطاوي نفسه بالنفي فأصبح حبيس البيت لا يغادره، كما ماتت فيه بادرة الإنتاج العلمي بادئ الأمر .

"ومع ذات صباح.. مشرق، وما أقله ظهورا في مرحلة النهضة العربية الحديثة، حدث وأن خرج الطهطاوي من سجنه إلى تجدد عهد النشاط الإنتاجي تأليفا، وترجمة، فخرج بعيون الأدب التي أسهمت في نهضة النشر العربي الحديث، فضلا عن إسهامه في تطوير الأساليب النثرية الحديثة من السجع وضحالة المعنى إلى البناء على المعنى والجرس الرنان البديع عفو السليقة .

ومن حسنات "ومع ذات صباح.." مشرق، ألغي النفي عن الطهطاوي وأعيد مكرما إلى مصر، كما أعيد فتح مدرسة الألسن، ولقد تم ذلك عندما وصل إلى سدة الحكم "اسماعيل، وهبّت على العلم والتعليم نسمة جديدة من الحياة وأعيدت مدرسة الألسن سنة 1868، وتولى رفاة الطهطاوي رئاسة قلم الترجمة فيها عندئذ عاودت نشاطها من جديد"<sup>29</sup>، وكان الخديوي اسماعيل بذلك قد أدرك حقيقة العلاقة التلازمية بين الألسن والطهطاوي، وبين هذين وبين النهضة العربية الحديثة، فعاد الطهطاوي نشاطه وكانت الضربة البنائية القوية منه، إذ أخرج إلى النور كل أعماله من ترجمات وتآليف ونشير منها إلى نشيد المارسييليز مترجما إلى العربية، وقد سعى الطهطاوي لكتابة النشيد الوطني على منوال النشيد الفرنسي، وكتاب القانون الفرنسي Le Code الذي وضعه نابليون وهذا بعد أن كثف الجهد مع عبد الله أبي السعود وعملا على ترجمته، كما ألف المرشد الأمين في تربية الأبناء والبنين.. إلخ.

### خاتمة البدء،

إنّ وطننا / أمة في العصر الحديث وعلى هذه الطرائق من النهضة لا يسعه في ختام ما بعد البدء إلا أن تكون نهضته صورة طيفية، على مدار فترة امتدت من حكم محمد علي إلى ما بعد حكم اسماعيل، حيث يرتسم على وجه النهضة البناء والهدم، الإيجاد والعدمية، الإقرار والخرق، العطاء والحرمان...، إنها مجموعة المعاني المرجأة للنهضة العربية كوحدة غير قابلة للتحديد، والتي لا نلمس بها ومعها إلا على : لا تطور، لا تطوير، لا رقي، لا حضارة، لا اتحاد، لا تسامح، لا تعايش، لا تعليم، لا أمن، لا استقرار نفسي، لا إنتاجية، ليحيا الجميع بين أطياف "ومع ذات صباح.." حيث المحصلة النهائية: النهضة واللائنهضة في أم الدنيا مصر أنموذجا مخصوصا والأمة العربية في عمومها مشروعا مؤجلا .

### The Arabic Modern Renaissance « With One Morning.. »

#### A Deconstructive Approach

The Arabic renaissance started from Egypt in the modern age, due to the Arab world's backwardness and the developed west, this necessitated efforts to achieve the modern renaissance. So it provided many factors including Muhammad Ali's reforms, missionaries, orientalis, and the Khedive Ismail efforts. It invested so Many mechanisms like academic missions, opening schools, translating books, establishing newspapers.

This research's appears in revealing factors and mechanisms of renaissance, then reviewing the Arab renaissance, and seeking to understand this Arab situation, especially that renaissance took on shades of renaissance and Non-renaissance. So that:

- Has the Arab efforts invested all the mechanisms of renaissance?
- Has the desired Arab renaissance been realized, in a tangible manner at all levels?
- What are the forms of material and moral development resulting from this renaissance?

and there're sub-questions formulated as follows:

- What are the main factors of renaissance?
- Did the Renaissance establish a new Arab life?

this project's defined into two main ideas, the first one concerns the modern renaissance with foreign forearms, as words are summarized to Napoleon's renaissance endeavors after his campaign against Egypt. Whereas the second touch the modern renaissance with Arabic forearms, which relied on education, Arabic language, the modern renaissance and security.

The result here is approaching the modern Arab renaissance as an organized structure that removes its deposits according to western approach called deconstruction, also it realizes the reality of the modern Arab renaissance in Its original image where the renaissance and the non-renaissance were only perceived from a deconstructive viewpoint, as we add the core essence of Arab renaissance awareness that is demonstrated in its rootedness in Arab nation's awareness by having extensions in the past and continuity in the modern age, according to the shades revealed by deconstruction within recognition and breaching, finding and nihilism.

#### الهوامش:

\*-تشير الدراسات العربية بأن بداية الإشعاع النهضوي في الوطن العربي كان أول ظهوراً في بلاد الشام تحديداً مع القرن السادس عشر الميلادي، وكان ذلك بسبب الإرساليات التبشيرية الوافدة من أوروبا غير أن حصر الإرساليات للآليات النهضوية في خدمة الجانب الديني مع تزمت رجال الدين جعل الجهود الشامية متأخرة الإثارة مما بطاً من ريادة بلاد الشام للنهضة. ينظر: أبوشاهين سامي، النثر العربي في عصر النهضة، دراسة في محموليه الثقافي والفني، بيسان، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص: 88.

\*\* -في الكلام عن مفهوم النهضة نجد المعاجم النقدية قد حصرت في عصر النهضة عند الغرب، ودليل ذلك مفهوم نصار نواف حيث يقول: "النهضة (عصر).. اسم الفترة المثالية للعصر الوسيط في تاريخ أوروبا ويظهر خلالها ازدهار كبير في الفنون والآداب والعلوم وشهد إحياء للآداب والفنون الكلاسيكية اليونانية والرومانية مصحوباً بتغيرات مثيرة في الفكر الديني والفلسفي"، نصار نواف، معجم المصطلحات الأدبية عربي-إنجليزي، دار المعتر، عمان، ط1، 2011، ص: 343. وقد حذا هذا هذا المفهوم عديد معاجم إذ يمكننا معاينة: التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، ج1، ص: 646. وكذلك لدينا: إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، صفاقس، تونس، د. ط، د. ت، ص: 243، 244. ويبقى مفهوم النهضة العربية مغيباً حسب المعاجم السابقة الذكر، غير أنه يمكننا القول: النهضة هي حركة تغييرية ظهرت في العصر الحديث، بدايتها الفعلية كانت مع أوائل القرن التاسع عشر الميلادي انطلقت من مصر، تروم تغيير الأوضاع العربية بغية التطور.

\*\*\*-عوامل النهضة تطرقت إليها الكثير من الدراسات العربية الحديثة وأهمها: أبوشاهين سامي، النثر العربي في عصر النهضة دراسة في محموليه الثقافي والفني، وكذا دراسة: الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1983م، كما نضيف زكريا نصولي أنيس، أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، الجديد، بيروت، لبنان، د. ط، 2010م. وأخيراً الدسوقي عمر، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط7، 1994، ج1، ص: 2.

1- جملتنا "ومع ذات صباح.." هي في الأصل مستوحاة من جملة دريدا التي يقول فيها "وذاًت يوم، وذاًت يوم جميل .."، ينظر : دريدا جاك، أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي، تر: عمر مهيبيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص: 42.

2- نخبة من الأساتذة، من فنون النثر العربي، كلية الآداب، القاهرة، مصر، د. ط، 2005. 2006م، ص: 32.

\*-جاك دريدا فرنسي الجنسية، يهودي الأصل، جزائري المولد ( 15 جويلية 1930م - السبت 9 أكتوبر 2004م)، فيلسوف وناقد، اشتغل على التأصيل للتفكيكية . Déconstruction

- 3- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 253.
- 4- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص: 5.
- 5- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 253.
- 6- هذه القراءة تقدمها عديد دراسات، ينظر: عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ص: 5.
- 7- جاك دريدا، أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي، ص: 76.
- 8- م، ن، ص: 68.
- 9- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ص: 6.
- 10- سرور عبد الله، النثر الأدبي الحديث، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، د. ط، د. ت، ص: 17.
- 11- م، ن، ص: 18.
- 12- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 261.
- 13- التأكيد على خبر فتح المدرس بعد غلقها، ينظر: سرور عبد الله، النثر الأدبي الحديث، ص: 20.
- 14- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 261.
- 15- م، ن، ص، ن.
- 16- م، ن، ص: 263، 264.
- 17- م، ن، ص: 264.
- 18- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ص: 6.
- 19- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 280.
- 20- م، ن، ص، ن.
- 21- م، ن، ص: 264.
- 22- ينظر: نعيمة ميخائيل، الغريال، نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الخمسة عشرة، 1991.
- 23- ينظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1994، مقالة "لكم لغتكم ولي لغتي"، ص: 93.
- 24- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 315.

25- جاك دريدا، أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي، ص: 69.

26- م، ن، ص: 143.

27- ينظر: رفاعه رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د، ت، د، ط.

28- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ص: 8.

29- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص: 280، 281.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- دريدا جاك، أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الأصلي، تر: عمر مهيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

- الدسوقي عمر، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط7، 1994، ج1، ج2 .

- الدسوقي عمر، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.

- رفاعه رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د، ت، د، ط .

- الركابي جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1983 م .

- زكريا نصولي أنيس، أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، الجديد، بيروت، لبنان، د. ط، 2010م.

- سرور عبد الله، النثر الأدبي الحديث، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، د. ط، د. ت.

- أبوشاهين سامي، النثر العربي في عصر النهضة، دراسة في محموله الثقافي و الفني، بيسان، بيروت، لبنان، ط1، 2010 م .

- المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

- نخبة من الأساتذة، من فنون النثر العربي، كلية الآداب، القاهرة، مصر، د. ط، 2005. 2006 م .

- نعيمة ميخائيل، الغريال، نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، 1991.

#### المعاجم:

- التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، ج1 .

- فتحي ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، صفاقس، تونس، د. ط، د. ت .

- نصار نواف، معجم المصطلحات الأدبية عربي-إنجليزي، دار المعتر، عمان، ط1، 2011.